دولة ليبيا
وزارة التعليم
مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية

تاريخ الوطن العربي في العصر القديم

للسَّنة الأولى
بمرحلة التَّعليم الثَّانويِّ

الاسبوع العشرون

المدرسة الليبية بفرنسا ـ تور

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الفصل السابع

أهم مراكز الحضارة العربية القديمة في شبه الجزيرة العربية

- **أولًا** – الحضارة العربية في جنوب شبه الجزيرة العربية.
- **ثانيًا** – الحضارة العربية في وسط شبه الجزيرة العربية.
- **ثالثًا** – الحضارة العربية في شمال شبه الجزيرة العربية.
- **رابعًا** – مظاهر الحضارة العربية في شبه الجزيرة العربية.
- **المناقشة** .

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

تدل بعض البقايا الأثرية والطبيعية أن شبه الجزيرة العربية خلال العصر الحجري القديم والعصر الحجري الوسيط، كانت تنعم بظروف مناخية تختلف عن الظروف المناخية الحالية، حيث كانت غزيرة الأمطار كثيرة الخيرات، لكن مع بداية العصر الحجري الحديث، بدأت المنطقة تتحول من مناطق خضراء مأهولة بالسكان إلى امتدادات صحراوية جافة مجدبة، وكان من نتائج ذلك التناقص التدريجي لموارد العيش السعيد للسكان من نباتات وحيوانات، ولذلك اضطر السكان أن يهجروا مناطق سكانهم تِبَاعًا كلما زاد زحف التصحر على منطقة من المناطق، وتركّزوا في مناطق الجنوب والوسط والشمال .

إن هذا العصر لم يبدأ في وقت واحد في كل أجزاء هذه المنطقة، ومن المؤكد أن المنطقة الجنوبية كانت الأسبق في الوصول إلى العصور التاريخية.

إن أهم ما يميز شبه الجزيرة العربية في العصر التاريخي قيام مجموعة من الحضارات تركزت بعضها في الجنوب والبعض الآخر في الوسط، ومجموعة لا بأس بها في الشمال، وهي :

أولًا - الحضارة العربية القديمة في جنوب شبه الجزيرة العربية :

نتيجة للاستقرار الذي نعم به سكان جنوب شبه الجزيرة العربية تطورت حياتهم إلى مدنية راقية صاحبها التقدم الاقتصادي والسياسي، حيث عرفوا التنظيمات السياسية منذ وقت مبكر على أساس قبلي، فقد كان لكل قبيلة كيان سياسي تدير في إطاره إقطاعيتها الزراعية الصغيرة، ولها شيخ يدير شؤونها، وكان النظام يسمى المحفد، ومع مرور الزمن عمل هؤلاء الشيوخ على توحيد المحافد في دولة واحدة . وبهذا نشأت اليمن القديمة الموحدة في شكل دول كبرى متعاقبة أهمها :

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

1 - المعينيون)1300 – 650 ق.م(:

تعد هذه الدولة من أقدم الدول التي ظهرت في شبه الجزيرة العربية عامة وجنوب شبه الجزيرة العربية بصفة خاصة، وقد ظهرت دولة معين في المنطقة السهلية بالجوف بين نجران وحضر موت، حيث كان المعينيون يشتغلون بالتجارة ويسيطرون على الطرق التجارية بين الشمال والجنوب، وتوسعت دولتهم حتى بلاد الحجاز شمالًا، ومن المؤرخين من يمد نفوذهم إلى شمال الحجاز ويؤكد تأسيسهم مدينة معان جنوب الأردن الحالية بهدف السيطرة على الواحات التي يمر بها الطريق التجاري إلى الشام ومصر والعراق وتأمين حمايتها .

ونتيجة لنشاطهم التجاري احتك المعينيون حضاريًا بشعوب بلاد الرافدين والشام ومصر، وتبادلوا معهم أسس الثقافات الحضارية وكان لذلك أثر واضح على التقدم الذي ساد باليمن زمن المعينين، فعرفوا طرق تدوين الحسابات التجارية، وأتقنوا بذلك الأبجدية، واستخدموها في كتاباتهم، وظلت هذه الكتابة حتى بعد زوال الدولة المعينية.

ومن ملوك الدولة المعينية (اليفع وقه) الذي يعده المؤرخون أول ملوك هذه الدولة .

لقد بدأت الأوضاع تضطرب في معين بعد قيام دولة سبأ التي أخذت موازين القوة تميل لصالحها شيئًا فشيئًا ما بين عامي)**800 – 650** ق.م(.

2 - القتبانيون)1100 – 25 ق.م(:

كانت دولة قتبان تقع في الجنوب الغربي من سبأ على حدود دولة حضرموت وكانت عاصمتهم تقع في وادي بيجان قرب باب المندب الحالي .

من المؤكد أنها عاصرت نهاية دولة معين، وعاصرت دولة سبأ بالكامل وجزءً من أيام الدولة الحميرية حتى عام**25** ق.م.

وقد اعتاد المؤرخون على تقسيم عهدها إلى ثلاث مراحل :

أ – **المرحلة الأولى** : وتبدأ من بداية تأسيس الدولة وحتى منتصف القرن الرابع ق.م)**350** ق.م(. وقد شهدت هذه المرحلة انتصارات دولة قتبان على مملكة سبأ

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وسيطرتها على بعض أراضيها، وأنها شهدت حركة تقدم اقتصادي، وأشهر ملوك هذه المرحلة (يدع آب دبيان) .

ب – **المرحلة الثانية** : وتمتد من عام **350** إلى **250**ق.م وتتميز بانتصار دولة قتبان على دولة حضرموت بضمها أجزاءً من أراضيها ، كما شهدت هذه المرحلة نشاط الحركة العمرانية وفنونها، وأشهر ملوك هذه الفترة (شهر غيلان)، وهذه المرحلة تعتبر العصر الذهبي لدولة قتبان، وكان لموقعها الجغرافي الهام بجوار باب المندب وحضرموت دور هام في السيطرة على التجارة بالإضافة إلى إنتاجها أجود أنواع الطيب والبخور أثره المباشر للازدهار الاقتصادي الذي شهدته قتبان في هذه المرحلة .

ج – **المرحلة الثالثة** : وتمتد خلال **250** إلى **25** ق.م وهذه المرحلة امتازت بعدم الاستقرار في الدولة، فقد تعاقب عدة ملوك ساد بينهم الانشقاق والصراع على السلطة مما أدى إلى الذهاب بعظمة الدولة وهيبتها، وبالتالي أدى إلى زوالها .

3 - الحضرميون)1020 – 300 ق.م(:

تقع مملكة حضر موت جنوب شرق شبه الجزيرة العربية على ساحل بحر العرب، وقد بدأت النقوش التي ظهرت حديثًا تشير إلى أنها عاصرت كلًا من سبأ وقتبان ويبدو أنها قد اندمجت في مرحلة من مراحل تطورها في دولة سبأ القوية، فتذكر بعض النقوش أن ملوك سبأ كانوا يُلقَّبون بملوك (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات) .

وقد دلت الأبحاث على أن هذه الدولة قد شهدت عصرًا مزدهرًا تعززت فيه العلاقات التي قامت بينها وبين دول الشام القديمة مثل الآراميين ودولة تدمر، كما شهد لها التاريخ بالتقدم الفني في شكل المعابد التي مازالت آثارها ظاهرة في مدينة شبوة عاصمة للدولة، وكذلك في آثار القصور الفخمة والسدود التي أقيمت على وادي شبوة، حيث كانت سببًا في ازدهار الحياة الاقتصادية، الأمر الذي دل عليه تدفق المحصولات على ميناء قن إلى الشرق من مدينة عدن الحالية لغرض التصدير، ومن

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

المرجح أن دولة حضرموت قد فقدت استقلالها في أواخر عهدها نتيجة لاضطراب الأحوال السياسية فيها مما مكن من سيطرة مملكة سبأ عليها وإدماجها في كيانها .

4 - السبأيون)800 – 115 ق.م(:

كان السبأيون يعيشون حياة بدوية متنقلة إلى أن استقر بهم المقام بشكل دائم باليمن عام **800** ق.م فأسسوا دولة تحمل اسمهم في المنطقة الواقعة بين حضرموت والجوف وقد مرت هذه الدولة بعدة أدوار تاريخية .

حيث كانت خلال الدور الأول معاصرة لدولة معين وقد اتخذ حكام سبأ الذين تلقبوا بلقب مكرب من مدينة صرواح بين صنعاء ومأرب عاصمة لهم، وخلال هذه المرحلة شهدت سبأ تطورًا سريعًا واصطدمت بدولة معين في مراحلها الأخيرة مما مكن دولة سبأ من أن تبسط نفوذها على كل أملاك دولة معين أيام الملك السبئي (كرب آل وتر)، وسجل هذه الانتصارات على جدران معبد صرواح ولقب نفسه بملك سبأ، فأصبح أول حكام سبأ الذين تلقبوا بهذا اللقب .

يعتبر عام **650** ق.م بداية المرحلة الثانية من تاريخ سبأ، فقد انتقلت العاصمة إلى مدينة (مأرب) التي تقع حوالى **60** ميلًا شرق مدينة صنعاء الحالية، وكانت ذات موقع جغرافي مهم عند ملتقى طريق القوافل التجارية نحو الشمال والجنوب .

وقد اهتم أهل سبأ بالتجارة، وكان موقع بلادهم المتوسط بين الشام والعراق ومصر شمالًا، وبحر العرب والهند جنوبًا، والخليج العربي شرقًا، وبلاد الحبشة وشرق أفريقيا غربًا، جعل منهم حلقة وصل ووسطاء تجاريين للتجارة البحرية والبرية، وقد وصلت تجارتهم إلى جميع هذه المناطق، ونجحوا في إقامة حاميات عسكرية، ونقاط مراقبة على طول الطرق البرية التجارية التي تمر بها قوافلهم، وكان السبئيون يهتمون بالزراعة اهتمامًا كبيرًا وبذلك كان اقتصاد سبأ يقوم على تجارة القوافل والزراعة المروية .

وقد زاد في شهرة سبأ واليمنيين عمومًا بناء السدود على الأودية ولعل أشهر هذه السدود سد مأرب .

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

- سد مأرب :

يقع سد مأرب بين جبلي بلق على وادي أذنة وتبلغ مساحة بحيرة السد 8 كيلومترات مربعة، وسعتها الإجمالية 55 مليون متر مكعب، وهو عبارة عن بناء ضخم من الحجارة يعترض مجرى الوادي الجاف لحجز المياه التي تتجمع فيه أثناء موسم الأمطار وتنساب بقوة خلاله، وقد جُعلت لهذا السد فتحتان تسميان الصدفتان، تخرج منهما المياه إلى إحدى الأراضي الواقعة على يمين السد وشماله في شكل قنوات متعددة تقفل وتفتح حسب الحاجة إلى المياه للري .

شكل رقم)25(

بقايا سد مأرب في دولة سبأ في جنوب شبه الجزيرة العربية . عن : بيير جانتال ، السيطرة على الري ، في اليمن (بلاد ملكة سبأ) ، معهد العالم العربي ، باريس ودار الأهالي ، دمشق ، 1999م

وبفضل هذا النظام البديع المتطور في الري اتسعت رقعة الأراضي الزراعية وزاد إنتاجها حتى أصبحت بلاد اليمن تسمى اليمن السعيد أو الأخضر ولقد وصفها القرآن الكريم بأنها بلدة طيبة .

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

قال تعالى :﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ ﴾[1].

وقد تم بناء هذا السد في عهد الملك سمة علي وابنه الملك يتعمر، وسادت الفوضى زمن الملوك الأواخر مما ترتب عليه إهماله وعدم العناية بصيانته وإصلاحه .

ولقد انهار سد مأرب وعرف هذا الانهيار في التاريخ اليمني بحادثة (سيل العرم)، وهكذا كانت خاتمة السد التاريخية والاقتصادية، وكان انهيار السد السبب في هجرة العديد من القبائل العربية من بلاد اليمن في اتجاهات مختلفة، وأصبحت بلاد اليمن تعاني من ضائقة اقتصادية بعد أن فقدت جناتها الخضراء بسبب نقص كمية المياه .

قال تعالى :﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ﴾[1].

وكان لانهيار السد وحدوث الفيضان كارثة تاريخية وحضارية . فتسبب في انفراط وحدة القبائل اليمينة فهاجر بعضها كما أشرنا إلى خارج اليمن وانضم بعضها الآخر إلى دولة حمير المتكونة حديثًا والتي استطاعت بسط نفوذها بسرعة على ما تبقى من دولة سبأ وإسقاطها عام **115** ق.م .

5 - الحِمْيَرِيُّونَ)115 ق.م – 525 م(:

ظهرت دولة حمير إلى الوجود على أنقاض دولة سبأ، فالحميريون هم فرع من السبئيين في الأصل بل هم أبناء عمومتهم، ودولتهم امتداد لدولة سبأ .

وقد قامت دولة حمير جنوب شرق سبأ وعاصمتها مدينة (ريدان) (ظفار)، وإذا كانت دولة سبأ قد ركزت اهتمامها في حياتها الاقتصادية على الزراعة وتطويرها كما ذكرنا فإن دولة حمير كان اهتمامها مركز على الحياة الحربية وبناء القوة العسكرية لمواجهة المتغيرات الدولية وخصوصًا بعد تزايد الأطماع الخارجية على جنوب

---

[1] سورة سبأ الآية)15(.
[1] سورة سبأ الآية)16(.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

شبه الجزيرة العربية . وقد تَطَلَّبَ بناء القوة العسكرية تحقيق الوحدة الطبيعية لبلاد اليمن، لخلق يمن قوي موحد يكون قادرًا على مواجهة الأطماع الأجنبية المتزايدة، وقد نجح ملوك حمير في بسط نفوذهم على كل اليمن، وحضرموت، وتُهامة وغيرها من المناطق المجاورة، ولكن مع ذلك لم تغفل دولة حمير الاهتمام بالتجارة وأشرفت في هذا المجال مباشرة على تجارة القوافل بين مصر والشام والرافدين، وأنشأت الأساطيل التجارية لتصريف التجارة العربية من الحجاز وبلاد الشام وبلاد الرافدين ومصر نحو الهند والحبشة وبالعكس . وهي بذلك تعيد مجد دولة معين في هذا المجال .

تعرضت دولة حمير إلى الأطماع الخارجية وقد تمثل ذلك في حملة الرومان التي كانت بقيادة حاكم مصر الروماني (أيليوس جالوس) عام **24** ق.م . والتي كان يقصد منها الاستيلاء على جنوب شبه الجزيرة العربية لكثرة خيراتها ولاحتكارها طرق النقل التجاري بين العالم القديم، ولم يتم المشروع كما حلم به الإمبراطور الروماني (أغسطس))**31** ق.م – **14**م(لسببين :

1 - استهانة الرومان بطبيعة بلاد العرب وعدم تمكن الجنود الرومان تحمل العطش والحرارة الشديدة .

2 - وجود الوزير النبطي صالح كدليل للحملة، حيث قاد الحملة عبر أراض مقفرة لا زرع فيها ولا ماء مما أدى إلى هلاك الكثير من الجنود بدون حرب .

وعلى هذا الأساس يقول المؤرخ والجغرافي اليوناني (سترابون) الذي رافق الحملة أن سبب فشلها يعود إلى خيانة الوزير النبطي صالح ولذلك حكم الرومان على هذا البطل الذي أنقذ وطنه من الاستعمار بالإعدام .

وفي عام **525** م تعرضت مملكة حمير للغزو الحبشي الذي كان سببًا في سقوط الدولة وبسط الأحباش نفوذهم عليها .

ويمكن تلخيص الأحداث التي تلت سقوط دولة حمير عام **525**م ، إلى أن دخل اليمن في الإسلام عام **628** م في الآتي :

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

أ – الحكم الحبشي في اليمن)525 – 575م(:

يرجع تاريخ العلاقات بين اليمن والحبشة إلى سنوات عدة قبل غزو الأحباش لليمن وقضائهم على الدولة الحميرية .

كان للعرب صلات قوية ببلاد الأحباش، إذ يؤكد المؤرخون أن مملكة (أكسوم) الحبشية، التي ظهرت في أوائل أيام النصرانية في الحبشة أسسها العرب الجنوبيون .

قامت صراعات دينية بين اليهودية والنصرانية التي كانت قد انتشرت في جنوب شبه الجزيرة العربية وبالتحديد في إقليم (نجران)، وأمام إصرار ذي نواس على تهويد البلاد رفض أهل (نجران) ذلك، وأصرّوا على البقاء على دينهم المسيحي، فحاصر ذو نواس المدينة وحفر فيها أخدودًا كبيرًا واضرم فيه نارًا قوية، وعرض على أهل نجران إما التوبة والعودة إلى الدين اليهودي المفروض عليهم، وإمَّا الإلقاء في النار المشتعلة في الأخدود، وكان ذلك عام **523**م. وهي الحادثة التي عبر عنها القرآن الكريم باختصار بليغ، قال تعالى :﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ﴾[1] .

وقد سارع بعض من نجا من المحرقة بالاتصال بإمبراطور الروم، الذي أشار عليهم بالاتصال بملك الحبشة للإسراع لنجدتهم لقرب بلاده من اليمن . وهكذا فقد استغل الملك الحبشي هذه الحادثة لتنفيذ رغبة قديمة تحركها أطماع سياسية واقتصادية وتوسعية فأنفذ حملة عسكرية لغزو اليمن تحت ذريعة حماية المسيحيين هناك .

وهكذا نجح الأحباش في الاستيلاء على أرض اليمن عام **525**م واستمر حكمهم هناك حتى سنة **575** م .

---

[1] سورة البروج الآيات من)1-8(.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

ب – حملة الأحباش على مكة المكرمة (حملة أبرهة) :

تقول بعض المصادر : إن حملة الأحباش على اليمن إنما هي جزء من حملة كبرى كان الأحباش يهدفون من خلالها إلى الاستيلاء على شبه الجزيرة العربية وبعث إمبراطورية حبشية كبرى وبالتالي فإن حملة الأحباش على مكة تقع في هذا الإطار .

وقد لاحظ أبرهة أن العرب يترددون على مكة لأجل الحج، وزيارة بيت الله في مكة المسمى (الكعبة المشرفة) . وفي إطار سياسة أبرهة لخلق زعامة حبشية في اليمن ومنع اليمنيين من الاتصال بعرب الشمال، وتحويل العرب إلى اليمن كمركز عبادة وحج قام أبرهة ببناء كنيسة كبرى بمدينة صنعاء تُسمّى (القليس)، وقد جعل العمل فيها صباحًا ومساءً وأحضر لها الحجارة من كل مكان وأبدع الفنيون في زخرفتها وتلوينها حتى أصبحت آية في الجمال والإتقان، ولما انتهى العمل بها أرسل إلى ملك الحبشة يعلمه بقوله " إني قد بنيت لك بصنعاء بيتًا لم تبن العرب ولا العجم مثله " .

ثم فرض أبرهة على العرب الحج إليها، وعدم الذهاب إلى مكة لزيارة الكعبة . ولكن دون جدوى الأمر الذي جعل أبرهة يصدر أوامره لتجريد حملة عسكرية ضخمة يشارك فيها الفيلة لأجل هدم الكعبة، وذلك عام **571**م . وهو العام المشهور بعام الفيل وهو العام الذي ولد فيه الرسول الكريم محمد بن عبدالله - صلى الله عليه وسلم - .

وقد حمى المولى القدير بيته المقدس وأرسل على جند الأحباش طيرًا بأعداد كبيرة تحمل في مخالبها حجارة قاتلة أعملت الفوضى في جنود الحملة ونشرت الذعر بينهم وفرّقت شملهم وفشلت حملتهم عسكريًا ومعنويًا .

قال تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥ ﴾[1] .

---

[1] سورة الفيل الآيات من (1-5) .

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

كان إخفاق الحملة سببًا في ارتفاع معنويات أهل اليمن بعد أن كانوا يعتقدون أن الأحباش عامة وأبرهة على وجه الخصوص لا يهزمون، وهكذا جدد اليمنيون ثورتهم ضد الأحباش .

ج – الحكم الفارسي لليمن)575 – 628م(:

قامت ثورات ببلاد اليمن بقيادة (سيف بن ذي يزن) الذي ساعدته كراهية أهل اليمن للأحباش، وهزيمتهم في حملتهم على الكعبة، ولكنه أخطأ في اختيار طريقة التحرير عندما لجأ إلى كسرى ملك الفرس، بعد أن استعان بالنعمان بن المنذر ملك الحيرة العربي حليف الفرس، الذي مهد له مقابلة مع كسرى فاستجاب لطلبه طمعًا في بسط سلطانه على اليمن وتوسيع ملكه بها، وأرسل معه جيشًا فارسيًا وسيطر على بعض مناطق اليمن، بقيادة القائد الفارسي (وهرز) بعد أن هزم الجيش بقيادة مسروق بن أبرهة الحبشي .

وهكذا نجحت قوات الفرس في بسط نفوذها على اليمن وطرد جيش الأحباش، وتم تعيين القائد الفارسي حاكمًا جديدًا على اليمن وهكذا استبدل استعمارُ باستعمار آخر في حكم اليمن .

لقد بقى الحكم الفارسي باليمن حتى كان العام السادس للهجرة النبوية من مكة إلى المدينة عندما أسلم حاكم اليمن الفارسي المدعو (باذان)، وكان ذلك عام **628** م . وهكذا أصبح اليمن جزءًا من الدولة العربية الجديدة في المدينة المنورة .

وترتب على ذلك القضاء على الوثنية واليهودية والنصرانية وعلى الحكم الأجنبي في اليمن .

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا